

أثر الغزو البرتغالي لعمان في قيام التحالف البرتغالي الصفوي

جامعة أم القرى - المملكة العربية السعودية

أ. عبد المحسن حمد مساعد العرجاني

مستخلص:

تتناول الدراسة أثر الغزو البرتغالي لعمان في قيام التحالف البرتغالي الصفوي، وتتناول الكشف البرتغالية باعتبار أن البرتغال أول دولة أوروبية بدأت حركة الكشف الجغرافية، وقد حظيت فكرة الكشف هذه بتأييد ورعاية حكامها في القرنين الرابع عشر والخامس عشر للميلاد، وبعد حروب الاسترداد، حاول البرتغاليون أن يتخلصوا من التأثير الإسلامي عليهم؛ لذلك بحثوا عن طريق يوفر لهم التجارة مع الهند من دون أن يمر ذلك الطريق بمراكز القوى الإسلامية في ذلك الوقت، ونجحوا في ذلك الأمر، في هذه الفترة استطاعت مملكة هرمز بسط سيطرتها على سواحل الخليج التي كانت منقسمة إلى عدة إمارات تخضع لهم القبائل. وقد كانت مملكة هرمز تجني المكوس والضرائب من المدن والموانئ التابعة لها، وبعد الاحتلال البرتغالي لعمان توالى الاشتباكات، وكان لدولة اليعاربة - التي قامت عام 1624م - الدور الأكبر في تحرير عمان من الاستعمار البرتغالي، الذي ظل في سجال مع العمانيين حتى تم طرد البرتغاليين بشكل نهائي في عام 1649م على يد سلطان بن سيف اليعربي الذي أعلن الحرب على البرتغاليين لنقضهم بنود المعاهدة، وتمكن خلال أقل من سنة في حكمه من تحرير عمان وأنهى الحكم البرتغالي على أراضيها.

كلمات مفتاحية: عمان، البرتغال، الاستعمار، الصفوي

The impact of the Portuguese invasion of Oman in the establishment of the Portuguese-Safavid alliance

Abdul Mohsen Hamad Mosaed Al-Arjani

Abstract:

The study deals with the impact of the Portuguese invasion of Oman on the establishment of the Portuguese-Safavid alliance, and deals with the Portuguese discoveries, considering that Portugal was the first European country to begin the movement of geographical discoveries. This idea of discovery received the support and sponsorship of its rulers in the fourteenth and fifteenth centuries AD, and after the wars of reconquest, the Portuguese tried to get rid of From the Islamic influence on them; Therefore, they searched for a route that would provide them with trade with India without that route passing through the centers of Islamic power at that time, and they succeeded in doing so. During this period, the Kingdom of Hormuz was able to extend its con-

trol over the coasts of the Gulf, which was divided into several emirates subject to the tribes. The Kingdom of Hormuz collected duties and taxes from its cities and ports, and after the Portuguese occupation of Oman, clashes continued, and the Ya'ariba state - which was established in 1624 AD - had the largest role in liberating Oman from Portuguese colonialism, which remained in debate with the Omanis until the Portuguese were completely expelled. Final in 1649 AD at the hands of Sultan bin Saif Al Yarubi, who declared war on the Portuguese for violating the terms of the treaty. Within less than a year of his rule, he was able to liberate Oman and end Portuguese rule on its lands.

Keywords: Oman - Portugal - Colonialism - Safavid

مقدمة:

قامت الكشوف الجغرافية الأوروبية في عصر كانت فيه السلطة السياسية والسلطة الدينية تشكل وجهين لعملة واحدة في أوروبا، وتعتبر حركة الكشوف البرتغالية فاتحة الاستعمار الأوروبي لآفريقيا وآسيا تحديداً خلال القرن الخامس عشر الميلادي، وقد بدأتها البرتغال، واستفادت الملاحة البرتغالية خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر من علوم العرب الفلكية والبحرية والخرائط والأدوات الملاحية، مما كان له أثر كبير في السبق الذي حققه البحارة البرتغاليون في مجال الكشوف الجغرافية. وتؤكد المصادر والمراجع التاريخية، عربية كانت أو أوروبية فضل البحارة والفلكيين العرب في تطور فن البحرية البرتغالية.⁽¹⁾ كانت البرتغال أول دولة أوروبية بدأت حركة الكشوف الجغرافية، وقد حظيت فكرة الكشف هذه بتأييد ورعاية الأمير البرتغالي المعروف هنري الملاح (1394- 1460) وكان هنري يتخلى بصفات جيدة فهو شجاع وملم بالجغرافيا والرياضيات التي عرفت آنذاك، كما كان مسيحياً متحمساً لنشر المسيحية بين سكان القارة الأفريقية وبعد أن سيطر البرتغاليون على ساحل شرق إفريقيا، وجهوا اهتمامهم صوب عُمان، التي كانوا يعتبرونها المنافس التجاري لهم في المحيط الهندي، فأرسل ملك البرتغال حملة بحرية بقيادة ألفونسو دي ألبوكيرك عام 1506 إلى جزيرة سوقطرة اليمنية فتم الاستيلاء عليها. وتقول دائرة المعارف البريطانية إن البرتغاليين استولوا على مسقط عام 1507 وسرعان ما سيطروا على الساحل العماني بأكمله، وبعد ذلك بعزم استولوا على هرمز في مدخل الخليج، وقد أرسلت دولة المماليك في مصر والدولة العثمانية حملات بحرية للتصدي للبرتغاليين، ولكن دون جدوى، وحقق البرتغاليون هدفهم بتأمين الطريق إلى الهند فوصلوا إلى غوا، التي باتت لاحقاً مركز إمبراطوريتهم في الشرق، في عام 1510، وبعد أن استولى عليها ألفونسو دي ألبوكيرك باتت غوا بمثابة القاعدة البرتغالية الرئيسة في الشرق لمدة أربعة قرون ونصف.

الكشوف البرتغالية:

بعد نجاحهم في طرد المسلمين من ديارهم وفيما يعرف بحروب الاسترداد، حاول البرتغاليون أن يتخلصوا من التأثير الإسلامي عليهم؛ لذلك بحثوا عن طريق يوفر لهم التجارة مع الهند من دون أن يمر ذلك الطريق بمراكز القوى الإسلامية في ذلك الوقت، وبالذات دولة المماليك، وساعدهم على البحث الاستقرار

السياسي الأمر الذي حفزهم من أجل العمل على اكتشاف طريق يوصل للهند فاتجهوا بمحاذاة غرب القارة الإفريقية قاصدين جنوبها ، وبدأ المحاولات الكشفية الأمير هنري الملاح في رحلته التي قصد منها الوصول للأراضي الواقعة جنوب جزر الكناري ومن ثم رأس بوجادور، وكذلك قصد تسهيل تجارة الإمبراطورية البرتغالية ، وتوسيع مساحتها . والاستمرار في طرد المسلمين والقضاء على قوتهم والبحث عن مكان القس بريسترجون .⁽²⁾

هذا وقد بدأ هنري الملاح رحلاته منذ عام 1415م مستغلاً التحسينات التي قام بها البرتغاليون في بناء السفن واستخدام البوصلة في الملاحة البحرية بعد التعديلات عليها. وبعد عدة رحلات قام بها البرتغاليون تمكنوا من اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح والوصول للهند. حيث كانت تلك الرحلات مقسمة إلى خمس مراحل، المرحلة الأولى بدأها هنري الملاح منذ عام 1415م إلى سبته. ومن ثم الدوران حول رأس بوجادور عام 1434م. والمرحلة الثانية تمتد ما بين عامي 1434 - 1462م تم فيها اكتشاف نهر السنغال والوصول للرأس الأخضر. المرحلة الثالثة تبدأ منذ عام 1470م حتى عام 1482م وفيها تم اكتشاف الجزء المتبقي من ساحل غانة. المرحلة الرابعة استمرت خمسة عشر عامًا في الفترة الواقعة ما بين 1482-1497م وفيها برز ديجو كام الذي أوصل النفوذ البرتغالي إلى مصب نهر الكنغو وبرز كذلك بارثولوميو دياز الذي وصل نهر ميريت فيش. والمرحلة الخامسة هي مرحلة فاسكو دي جاما الذي تمكن من الوصول للهند. (3)

الأوضاع السياسية في عمان:

تعتبر عمان امتداداً لشبه الجزيرة العربية من جهة الشرق في الجنوب وكان يحكمها ولمدة طويلة -حتى قدوم البرتغاليين- أسرة النبهانيين. ظلوا يحكمون عمان حوالي خمسة قرون. وكانت عمان حالها كحال بلاد الخليج العربي الأخرى تخضع للقوى القريبة منها حيث تمكنت مملكة هرمز من بسط سيطرتها على سواحل الخليج التي كانت منقسمة إلى عدة إمارات تخضع لهم القبائل. وقد كانت مملكة هرمز تجني المكوس والضرائب من المدن والموانئ التابعة لها حيث كانت قلها تدفع سنوياً مبلغ ألف ومائة دينار أشرافي (دينار من الذهب ضرب في عهد السلطان المملوكي الأشرف برسباي 842-825هـ / 1438-1421م) بينما كانت مسقط تدفع أربعة آلاف دينار، وصحار وخور فكان تدفعان ثلاثة آلاف دينار سنوياً بالتساوي فيما بينهما. إلا أن مملكة هرمز بدأت تضعف مع مرور الزمن حتى أن حاكمها استنجد بأمير البحرين ضد أقاربه الطامعين في الحكم. ونتيجة لذلك فرضت البحرين سيطرتها على عمان سنة 893هـ / 1487 م وقامت بأخذ الكثير من محاصيلها كل عام. (4) وبالنسبة للوضع السياسي بشكل عام كانت تحكم العالم الإسلامي « فيما يعرف حالياً بالشرق الأوسط » ثلاث دول وهي:

الدولة العثمانية في آسيا الصغرى (الأناضول) وأجزاء كبيرة من شرق أوروبا.

الدولة المملوكية في مصر والشام والحجاز

الدولة الصفوية في معظم بلاد فارس (إيران) وشرق العراق.

أسباب الغزو البرتغالي لعمان:

قبل أن نعدد أسباب الغزو البرتغالي لعمان لا بد أن نتعرف على الدوافع أو الأسباب التي أدت إلى حركة الكشوف البرتغالية خلال القرن الخامس عشر وأخرجت البرتغاليين من ديارهم تجاه البلاد الإفريقية والآسيوية وفيما يلي استعراض لأهم العوامل التي أدت إلى الكشوف الجغرافية:

العامل الديني:

عامل قوي ومهم جداً لإلهاب حماس العامة للاشتراك في الرحلات الكشفية. لذلك عد المؤرخون الرحلات امتداداً للحروب الصليبية ضد الإسلام، والتي قامت انتقاماً من الإسلام وأهله وحقاً على المسلمين بعد انتصاراتهم بالذات في الشام، وكان عندهم هدف يسعون من أجله ألا وهو مهاجمة الإسلام في عقر داره. والهدف ترعاه روحياً البابوية والكنيسة الكاثوليكية، حتى أن البابا نيقولا الخامس أصدر منشوراً عام 859هـ/ 1454م يؤيد ويبارك جهود هنري الملاح في غزو جميع البلاد التي يسكنها أعداء المسيح وكذلك فعل البابا كاليكستوس الثالث عام 861 هـ/ 1456م، والبابا اسكندر السادس الذي أصدر ثلاثة مراسيم عام 899هـ/ 1493م حتى أن البرتغاليين طمعوا في تحويل المسلمين إلى النصرانية ما استطاعوا كما ذكر المؤرخ المسلم المعاصر زين الدين. خاصة وأن الأوروبيين زاد خوفهم من الإسلام بعد فتح القسطنطينية على يد محمد الفاتح سنة 897هـ / 1453م. وانتشرت في أوروبا منذ القرن الثاني عشر الميلادي أسطورة برسترجون أو القديس يوجنا⁽⁴⁾

العامل الاقتصادي:

العامل الاقتصادي كان أكثر العوامل فعالية في تحركات البشر، فالرغبة في الربح التجاري تشغل الهاجس البشري. لذلك تدفقت رحلات الكشوف عند البرتغاليين بحثاً عن الكسب المادي والحصول على المجد. وهذا يدل على أن العائد من الكشوف لم يكن علمي فقط، بل غلب العامل الاقتصادي على غالبية العوامل.⁽⁵⁾

كيف لا والتوابل والذهب ضمن الغنائم الاقتصادية التي تحصل عليها البرتغاليون خلال رحلة الكشوفات بعدما كانت البرتغال تشتكي في بداية القرن الخامس عشر من تدهور اقتصادها.

عوامل أخرى:

هناك عوامل أخرى كانت دافعة لحركة الكشوفات لعل في مقدمتها العامل السياسي، حيث ساهم التحول من النظام الإقطاعي إلى نظام الوحدة الوطنية في دفع حركة الكشوفات بعد لم الصف والقضاء على النزاعات الداخلية. وهناك أيضاً العامل الحضاري حيث استفادت أوروبا من الحضارة العربية التي تسربت إليها عبر البحر الأبيض المتوسط. وأخيراً وليس آخراً نذكر العامل الجغرافي حيث تتميز البرتغال بموقع جغرافي مميز في الجزء الجنوبي الغربي من قارة أوروبا وشبه جزيرة أيبيريا. وكذلك استفادت من طبيعة أوروبا، لوجود الأنهار وغابات الأخشاب وآجام القنب والكتان، والثلاثة تعتبر من المواد الخام لبناء السفن.⁽⁶⁾

أما بالنسبة للأسباب الخاصة بعمان والخليج العربي فهي كالتالي:

أولاً: ازدهار التجارة والملاحة في الخليج العربي حيث إن الموقع الجغرافي للخليج والذي يبدأ من عمان كان بمثابة أحد أذرع المحيط الهندي الذي كان البحر الأحمر الذراع الثاني له في جنوب غرب آسيا. والخليج العربي يوجد به العديد من الجزر الصغيرة التي تلجأ لها السفن وقت العواصف البحرية. ولم يكن الخليج معبراً للتجارة فقط، بل كان مركزاً من مراكزها المهمة لتعدد الموانئ التجارية الصالحة لرسو السفن وبالذات في عمان حيث صحار ومسقط وقلهات.⁽⁷⁾

ثانياً: حركة الملاحة البحرية بين الخليج بشكل عام وعمان خاصة والشرق التجاري المتمثل في الهند والصين. حيث إن السفن الخليجية التابعة للتجار العرب و المسلمين تقوم بنقل البضائع التجارية من الهند

والصين عبر خطوط الملاحة البحرية في المحيط الهندي لذلك عزم البرتغاليون على السيطرة عليه. ثالثاً: الأحوال السياسية في الخليج العربي في القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي، وجود إمارات صغيرة تحكم في الخليج ليس بينها وحدة سياسية ولا توجد بها قوة عسكرية مشتركة بحكم أنهم مسلمون، تتصدى لأي اعتداء خارجي كما حدث من البرتغاليين. رابعاً: كان العمانيون هم المسيطر على التجارة والناقل الحصري لها في المحيط الهندي وسواحل شرق إفريقيا؛ لذلك أراد البرتغاليون القضاء على المنافس الحقيقي لهم في تجارة الشرق بعد اكتشاف الطريق المؤدي للهند. (٨)

استيلاء البرتغاليين على عمان:

إن المتتبع لحركات الكشوف الجغرافية البرتغالية حتى وصولها للهند، سوف يجد أن المنافس الحقيقي للبرتغاليين هم العمانيون الذين كانوا على علاقة قوية بالهند وشرق إفريقيا بالذات من الناحية التجارية؛ لذلك لا غرابة في أن يقوم البرتغاليون بعمليات عدوانية ضد العمانيين في أي مكان يتواجدون فيه من باب الحرص على المصلحة المرجوة من وصولهم للهند والاستحواذ عليها ألا وهي تجارة بلاد الشرق. ولفرض وجودهم وبسط هيمنتهم على التجارة في المحيط الهندي قام البرتغاليون بأعمال قرصنة من مهاجمة السفن في المحيط والاستيلاء على بضاعتها وقتل من فيها من طاقمها وكذلك قاموا بإحراق البلدات التي تبدي نوعاً من المقاومة لهم من أجل إرهاب الناس. ولما رأوا ما لعمان والخليج العربي من أهمية في تجارة الشرق، وأنها تعتبر من المراكز المهمة في المحيط الهندي قرروا الاستيلاء عليها. حيث كانت من أهدافهم السيطرة على الطرق التجارية في المحيط الهندي، وكان القصد في بعض الفترات إغلاق طرق التجارة في وجه التجار العرب والمسلمين من أجل إضعاف العالم الإسلامي؛ ولذلك عمدوا إلى تخريب الموانئ العربية سواء في الخليج العربي أو في جنوب الجزيرة العربية، أو حتى على سواحل شرق إفريقيا. وقد تأخر قدوم البرتغاليين لعمان بسبب أن نائب الملك البرتغالي في الهند فرانسيسكو دالميدا 1505م - 1509م، وكان يرى أنه من الأفضل إقامة مراكز للبرتغاليين على سواحل شرق إفريقيا وسواحل الهند بالإضافة إلى القيام بأعمال القرصنة في المحيط الهندي دون الحاجة للسيطرة على المراكز العربية في الخليج. إلا أن ألفونسو البوكيرك كان له فكر مغاير، مدعوم بأوامر عامة من الملك البرتغالي عمانويل الأول في تنفيذ أفكاره وضم مناطق عديدة في الشرق من أجل احتكار التجارة، وكان معه خطاب سري لتعيينه نائباً للملك في الهند إلا أنه اضطر لإخفائه من عام 1506 إلى عام 1609م.

كانت نقطة الانطلاق لغزو جنوب الجزيرة العربية، جزيرة سوقطرة التي احتلوها في أغسطس عام 1507م وأعادوا بناء قلعتها وسموها قلعة القديس توماس، وإن كان البرتغاليون هجروها عام 1511م لعدم الاستفادة منها. وبعد الاستيلاء على سوقطرة توجه البوكيرك إلى جزر كوربا موريا. ومن ثم إلى رأس الحد التي فيها ما يقارب من 40 سفينة، وبعدها توجه بأسطوله إلى قلعات مركز الحكم الهرمزي في ساحل عمان التي عقد مع حاكمها صلحاً بالآلهاجم السفن البرتغالية ببلدته وغادر البوكيرك قلعات متوجهاً إلى قريات التي قصفها في اليوم التالي لوصوله، ونشب قتال بين البوكيرك بأسطوله ضد أهل بلدة قريات ولم يتمكن البرتغاليون من السيطرة عليها إلا بعد أن احتلوا جزيرة صغيرة مقابل قريات، وأخذوا يقصفون البلدة بالمدفعية حتى

دمروا جزءاً كبيراً منها، ومن ثم نزل الجنود للساحل وقاموا بقتل من وجدوه من أهل البلدة ولم يستثنوا أحداً حتى النساء والأطفال وأمر البوكيرك الجنود بأن يجدهوا أنوف وآذان النساء والأطفال والرجال لتكون شاهداً على بطشهم في المناطق التالية حتى يدخل الرعب في نفوس أهلها. كان الخراب الذي لحق بقرى بسبب مقاومتها، وعدم التعرض لقلها بسبب رضوخها لمطالب الغزاة هو ما دفع أهل مسقط لإرسال وفد إلى ألفونسو البوكيرك من أجل كسب وده، إلا أنه رفض التفاوض مع هذا الوفد بسبب أنه لم يكن معه تفويض خطي من حاكم مسقط، ولما جاءوا بالتفويض الرسمي فاجأهم بطلبه إمداده في استعداده لغزو هرمز، ولما تحفظوا على نقطة الإمداد قطع المحادثات معهم، وبدأت الأوضاع تتجه نحو المواجهة وهو ما يرغب فيه ألفونسو البوكيرك مدعوماً بالسلاح الفتاك المتمثل في المدافع بعكس أهل مسقط الذين كان سلاحهم أقل كفاءة من سلاح البرتغاليين، حيث كانوا يعتمدون على السيوف والرماح والسهام، وعلى الرغم من وصول مدد للعمانيين اختلفوا في مصدره هل هو من الجبور أو من مملكة هرمز، وهل عدده ألفان أم عشرة آلاف مقاتل.⁽⁹⁾

لكن الإمداد على أية حال لم يصمد أمام المدفعية البرتغالية، حيث انهارت القوات المدفعية عن مسقط بسرعة وكانت الغلبة أيضاً للبرتغاليين في الاشتباك المباشر، وقد قتل خلق كثير من أهل مسقط ودمرت المدينة بالكامل واحرقت السفن الراسية. وبعد الانتهاء من تدمير مسقط توجه الأسطول البرتغالي إلى صحرار التي فضلت الاستسلام وعين حاكمها نائباً لملك البرتغال ورفع على قلعتها علم البرتغال، ومن ثم توجه إلى خورفكان التي دمرت كسابقتها قرىات ومسقط، وبعد عودته من هرمز عام 1508م دمر قلها بالرم من عقد الصلح مع حاكمها أول قدومه للساحل العماني، وقد كانت المدن العمانية تدير السلطات البرتغالية في هرمز.

مع العلم أنهم جردوا المناطق من الأسلحة، وكانوا يراقبون بناء السفن كي لا يتم تسليحها أثناء تصنيعها. وبالذات في عهد ألفونسو البوكيرك، أما في عهد لوبو سواريز نائب الملك في الهند كانت سياسته تستهدف إنعاش التجارة البرتغالية الوسائل السلمية، وإن كانت هذه السياسة تعتمد على قيام ضباط عسكريين بتحصيل ضرائب المدن التجارية في عمان. ونتيجة لطمع الضباط وانغماسهم في التجارة بحكم عملهم ولسوء إدارتهم للموانئ قام العمانيون مع الهرامزة بثورة عام 1521م، ونظراً لاختلافات عديدة بين أن العرب والهرامزة، لم تنجح الثورة بل زادت من تشديد القبضة العسكرية والتجارية في المنطقة.

تحرير العمانيين بلادهم من الاستعمار البرتغالي:

لقد كان لدولة اليعاربة - التي قامت عام 1624م - الدور الأكبر في تحرير عمان من الاستعمار البرتغالي وبخاصة منذ عهد الإمام ناصر بن مرشد الذي أولى الأسطول والجيش اهتمامه وجعل تنمية الموارد الاقتصادية في مقدمة ركائز الدولة، وكان الإمام ناصر بن مرشد قد وضع خطة بعيدة المدى تقوم على تجريد البرتغاليين من قواعدهم على طول الساحل العماني قبل مواجهتهم في قاعدتهم الأساسية مسقط.⁽¹⁰⁾

ولم يعتمد العمانيون في بادئ الأمر على مساعدات أو تحالفات خارجية. إلا من الهولنديين، ولم تكن مباشرة ولا موجهة بسبب الصراع البرتغالي الهولندي على تجارة الشرق، ولانشغال بريطانيا بالساحة الأوروبية وقيام علاقاتها مع البرتغال على مبدأ التحالف، ولم تساند العمانيين في البداية حتى أن مساعدتهم في آخر

الأمر كانت إمدادهم بالخبراء في الملاحة البحرية بدون إمدادات عسكرية، وبالنسبة للفرس فقد كانت علاقتهم مع البرتغاليين تقوم على الاتفاق الحسن، لذلك حين بدأ العمانيون في جهادهم ضد المستعمر كانوا يعتمدون على قوتهم الذاتية بمواجهة البرتغاليين والفرس في جلفار؛ حيث أحرزت القوات العمانية نصراً على القوات الأجنبية في أغسطس 1633 م وهو الأول على البرتغاليين والفرس بعد قيام دولة اليعاربة، وهذا ناتج طبعاً من توحيد الصفوف بالداخل والسير خلف قيادة موحدة ووطنية. وتمكن العمانيون بعد ذلك من تحرير صور وقریات من أيدي البرتغاليين واستعصت عليهم صحار ومسقط حتى جاء عام 1644م ودخلت قوات الإمامة حروباً متقطعة مع القوة البرتغالية، لكن عجز العمانيون عن اختراق السور الخارجي المحيط بمسقط الذي كان البرتغاليون قد بنوه في الوقت الذي كانوا قد بنوا فيه قلعتي الميراثي والجلالي.

ثم في عام 1648م جهز العمانيون حملة بقيادة مسعود بن رمضان وخميس بن سعيد وذلك بغرض فرض حصار على مسقط وتحريرها. وفي 16 من أغسطس ضربوا حصاراً على مسقط حتى 11 من سبتمبر حيث رضخ البرتغاليون وقبلوا الشروط التي وضعها الإمام، وفي 31 من أكتوبر وقع اتفاق من خمسة بنود، ينص واحد منها على إلغاء القانون المتعلق بفرض ضريبة على العمانيين من قبل البرتغاليين، وشكل هذا الاتفاق نصراً سياسياً بقدر ماكان نصراً معنوياً. ولكن البرتغاليين لم يأسوا، فقد طلبوا تعزيزات جديدة من قادتهم في الهند، وذلك لإدراكهم أنهم إذا فقدوا السيطرة على مسقط فسوف يفقدون السيطرة على الخليج كله. وفي عام 1649م توفي الإمام ناصر بن مرشد واستلم الإمامة من بعده سلطان بن سيف اليعربي وانهز البرتغاليون المرحلة الانتقالية وخرقوا بنود المعاهدة وذلك بفرضهم الضريبة على العمانيين، فما كان من الإمام سلطان إلا أن أعلن الحرب على البرتغاليين وخلال ستة أشهر أرغم الحاكم البرتغالي بالتخلي عن القلعتين للقوات العمانية في 23 من يناير عام 1650م وتمكن خلال أقل من سنة في حكمه من تحرير عمان وأنهى الحكم البرتغالي على أراضيها.⁽¹¹⁾

خاتمة:

بعد استعراض هذا الحدث الفارق في تاريخ العرب والمسلمين من خلال بدايات الاستعمار الأوروبي للعالم عامة وللمنطقة العربية بشكل خاص نلاحظ أن البرتغاليين قاموا بأول حملة استعمارية في العصر الحديث، وأنها في طريقها للوصول إلى الهند كانت تخطط للاستيلاء على الدول الإسلامية لثأر قديم يتمثل في الفتح العربي للأندلس، ولذلك يعدها البعض امتداداً للحملات الصليبية، وخلف الأمر الديني كانت الرغبة في الاستيلاء على خيرات الشرق وتوابل الهند ماثلة أمامهم، وكانت هذه الحملات مخططة بمباركة شعبية ودينية.

على جانب آخر وفي فترة الدراسة كانت منطقة عمان تمثل المسيطر على التجارة والناقل الحصري لها في المحيط الهندي وسواحل شرق إفريقيا؛ لذلك أراد البرتغاليون القضاء على المنافس الحقيقي لهم في تجارة الشرق بعد اكتشاف الطريق المؤدي للهند. وعلى حين كانت أسلحة العمانيين في حربهم مع البرتغاليين تمثل الأسلحة القديمة من السيوف والسهام بينما البرتغاليون يستخدمون أسلحة حديثة، على الرغم من ذلك أحرز العمانيون انتصارات كبيرة عليهم وصمدت مناطق مثل قريات أمامهم حتى تحقق النصر وتمت هزيمتهم على يد الإمام سلطان بن سيف اليعربي وأنهى الحكم البرتغالي لعمان. ويرى الباحث أن الموضوع

يستحق مزيداً من الدراسات لبيان أثر الاحتلال البرتغالي لعمان ، مع طرح أسئلة من قبيل أن الاستعمار الحديث لم يتعرض لمعظم دول الخليج العربي رغم أن الحملة الاستعمارية الأولى كانت لعمان ، وهذه الأسئلة تفتح الباب للدارسين للتعمق في هذا الموضوع.

الهوامش:

- (1) السلطان، محمد حميد ، الغزو البرتغالي للجنوب العربي والخليج في الفترة ما بين 1507 - 1525م ، مركز زايد للنشر والتوزيع ، -2000.1
- (2) ابد العزيز الشناوي، أوروبا في مطلع العصور الحديثة، ص111 ، الجوهرى، يسري ، الكشوف الجغرافية، ص 127-131
- (3) الصيرفي، نوال ، النفوذ البرتغالي في الخليج العربي (في القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي) ، ص 52 - 54
- (4) الصيرفي، المرجع السابق، ص 65 - 70
- (5) سيّد ، أشرف صالح محمد، أصول التاريخ الأوروبي الحديث ، ص 69 .
- (6) حمدان، جمال ، استراتيجية الاستعمار والتحرير ، ص 52 - 54
- (7) الصيرفي، نفسه ، ص 29
- (8) سيّد ، المرجع السابق ، ص 143.
- (9) السلطان، المرجع السابق، ص 21
- (10) الهاشمي، سعيد محمد، دراسات في التاريخ العماني ، ص 283
- (11) غباش، حسين ، عمان - الديمقراطية الإسلامية - تقاليد الإمامة والتاريخ ، ص 109 - 110

المصادر والمراجع:

- (1) الكشوف الجغرافية، يسرى الجوهرى.
- (2) النفوذ البرتغالي في الخليج العربي (في القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي)، نوال حمزة يوسف الصيرفي.
- (3) أصول التاريخ الأوروبي الحديث، أشرف صالح محمد سيّد.
- (4) استراتيجية الاستعمار والتحرير، جمال حمدان.
- (5) الغزو البرتغالي للجنوب العربي والخليج، محمد حميد السلطان.
- (6) عمان - الديمقراطية الإسلامية - تقاليد الإمامة والتاريخ، حسين غباش.
- (7) صلاح العقاد، التيارات السياسية، القاهرة، 1974 م
- (8) لوريير، دليل الخليج، القسم التاريخي، ج 1
- (9) عمان في صفحات التاريخ، روبين بيدويل، العدد السابع
- (10) السلطان، محمد حميد ، الغزو البرتغالي للجنوب العربي والخليج في الفترة ما بين 1507 - 1525م ، مركز زايد للنشر والتوزيع ، 2000